تزيين الورقات
بجمع بعض ما لي
من الأبيات

الشيخ عبد الله بن فودى

USMANU DANFODIYO UNIVERSITY, SOKOTO
CENTRE FOR ISLAMIC STUDIES
P.M.B. 2346,SOKOTO-NIGERIA

VICE CHANCELLOR: Professor R.A. Shehu, B Sc (UNISOK), Ph.D (Essex), oon
DIRECTOR: Professor Abdullahi Muhammad Sifawa, B.A. Ed, M.A., Ph.D (Sokoto)

Our Ref: UDUS/CIS/DBP/030
Your Ref:

Date:: 17/9/1434 AH
26/7/2013
Date: CE

جامعة عثمان بن فودي صكتو نيجيريا

مركز الدراسات الإسلامية

التاريخ ١٤٢٤/٨/١٤هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

شهادة التصحيح

لجنة التصحيح والتحقيق والترجمة تقرر بأن الكتاب: "**تزيين الورقات بجمع بعض مالى من الأبيات**"

"تأليف: **الشيخ عبد الله بن فودى.**

نسخة مصححة، قام بتصحيحها: **الأستاذ الدكتور يحي محمد الأمين**

وأجازت اللجنة لدار اقرأ للطباعة والتوزيع بطبعه ونشره، والله ولي التوفيق.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

الأستاذ الدكتور أبوبكر علي غوندو

رئيس اللجنة.

التوقيع:

E-mail: cisudus@yahoo.com GSM: 08032347685, 08184221392, 08067501725

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

الحمد لله أهل الحمد والثناء ذي العظمة والكبرياء والسناء، وصلى الله على سيدنا محمد المحمود في الأرض والسماء، وعلى آله وصحبه الكرماء.

أما بعد: فيقول الفقير إلى الله عبد الله بن محمد بن عثمان التورودي نسبا، الحوسي إقليما وبلدا: "قد خطر لي في القلب أن أجمع بعض الأبيات التي نظمتها في مدح الشيوخ ومرثيتهم وشكر النعم التي أنعم الله علينا بها قبل هجرتنا، وفي وقائع وقعت لنا في الجهاد بعد الهجرة مع تفسير ما سيشكل على الطلاب من لغاتها وتبيين سبب نظم كل قصيدة منها، وفي ذلك بيان أكثر أحوالنا في ابتداء الأمر إلى انتهائه فينتفع بها من أراد بالإتعاظ بمواعظها والإعتبار بـــما حصل لنا في تلك الأحوال من نعم الله للشكر عليها وذلك مقصود الكتاب. والله الموفق للصواب وسميته **بـــتزيين الورقات بجمع بعض ما لي من الأبيات**. وفيها من فنون العرب الأمثال والحكم والوصايا والوقائع والمدح والتهنئة والمرثية والإفتخار وغير ذلك. وإنـــما قلت: "بعض مالي من الأبيات"، لإخراج ما نظمت من الكتب في العلوم ومدح النبي صلى الله عليه وسلم وذلك مشهور، وكذلك ما لم يحضر لي وقت التأليف منها ومالا يلتفت إليه من الأبيات التي نظمتها في حال الصبا بالعجمية والعربية لأن الشعر للشاعر المطبوع عليه كلفام في صدر المصدور لا يستريح إلا إذا عمّاه كما قال الشافعي رضي الله عنه:

والشاعر المطبوع أسود ساخ * والشعر منه لعـــابه ومجـــاجه

وقد كنت قديـــما أنظم أبياتا كثيرة فأتركها، وأجعلها نسيا منسيا لا أقيدها ، ولا أخبر بها أحدا لعلمي أن لا طائل تحتها؛ غالبا في الدين وعدم علمي بالعربية والعروض. وقد علمت أن جميع ما نظمته مضحكة للأدباء وسقطة الوعاء لكن لكل ساقط لاقط.

وأول منظوم لي معتبر فيما تذكرت هو تـــخميس قصيدة شيخنا أمير المؤمنين أخي عثمان بن محمد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم التي أولها:

تزيين الورقات
بجمع بعض ما لي
من الأبيات

الشيخ عبد الله بن فودى

وللتنبيه على هذه الفائدة ذكرت التخميس، وأصله، والله أعلم. ثم أقمنا مع الشيخ نعينه على تبليغ الدين يسير لذلك شرقا وغربا يدعو الناس إلى دين الله بوعظه وقصائد عجمية ويهدم العوائد المخالفة للشرع فيأتي إليه بعض الناس من الآفاق يدخلون في جماعته ونحن في بلده الذي اشتهر به ونسب إليه وهو "طغل" بطاء مهملة وقاف ممالين وسكون اللام آخره إلى أن سرنا معه مرة إلى بلاد "كب" فدعاهم إلى إصلاح الإيمان والإسلام والإحسان وترك العوائد الناقضة لها فتاب كثير منهم وساروا إليه لما رجع إلى وطنه أفواجا يستمعون الوعظ، ومنها فتح الله له القبول أولا، ثم سرى إلى البلاد حتى كثرت الجماعة وشاعت وكان الشيخ لا يسير إلى الملوك ولا يعاملهم. فلما كثرت الجماعة عنده واشتهر أمره عند الملوك وغيرهم ،رأى أن لا بد من السير إليهم، فسار إلى أمير غوبر باو وبين له الإسلام الصحيح ، وأمره بذلك وإقامة العدل في بلاده، ثم رجع إلى وطنه وتمكن بذلك من الدعاء إلى الدين ،إذ صار من لا يخاف الله يخاف إنكار أمره لأجل اتصاله بالسلطان إلى أن انتقلنا إلى بلاد "زنفرا" لدعاء أهلها إلى الدين فأقمنا فيها نحو خمسة أعوام، وكانت بلادا غلب على أهلها الجهل، لم يشم غالب أهلها رائحة الإسلام، وكانوا يأتون إلى مجلس الشيخ مختلطين مع نسائهم، فيفرقهم ويعلمهم، أن الإختلاط حرام بعد أن علّمهم قواعد الإسلام. وكان بعض شياطين الإنس يفشون بأن المجلس مجتمع الرجال والنساء. وعند نزولنا في مكان منها يسمى "دور" جاءنا العالم الماهر البرناوي المسمى بالمصطفى المعروف بلقبه "غني"، ومعناه "الماهر"، فتلقانا بأبيات له يأمر الشيخ فيها أن يمنع النساء زيارة وعظه فقال في أولها:

عليك منا تحيات مباركة * شممن مسكا وسكّا من يلاقونا

يا ابن فودي قم تنذر أولي الجهل * لعلهم يفقهون الدين والدونا

إلى أن قال:

فامنع زيـــارة نســـوان لوعظـــك إذ * خلط الرجال بنســـوان كفـــا شـــينا
لا تفعلن مـــا يـــؤدي للمعائـــب إذ * لم يـــأمر الله عيبـــا كـــان يؤذينـــا
وأبيات المصـــطفى "يـــجّ" يتممهـــا * في عام "رش" مع زيدِ العديب يكفينـــا

ثم قال لي الشيخ: "أنت يا عبد الله أولى بإجابته عن أبياته"، فقلت: "سمعا وطاعة" فكتبت إليه هذه الأبيات وهي:

يا أيها ذا الذي قـــد جـــاء يرشـــدنا * سمعا لما قلت فـــاسمع أنـــت مـــا قلنـــا
نصحت جهدك لكن ليـــت تعـــذرنا * وقلـــت ســـبحان هـــذا كـــان بهتانـــا
إن الشـــياطين إن جـــاءو لمجلســـنا * هـــم يبثـــون ســـوء القـــول طغيانـــا
لسنا نخـــالط بالنســـوان كيـــف وذا * كنـــا نحـــذر لكـــن قلـــت ســـلمنا
إن كـــان ذاك ولكـــن لا أســـلم أن * يتركن بالجهـــل همـــلا كـــان إحســـانا
إذ ارتكاب أخف الضر قـــد حتمـــا * يكفـــر الجهـــل إن ذا كـــان عصـــيانا
هذى البلاد وجدنا قومهـــا غرقـــوا * في الجهـــل نمـــنعهم أن يفقهـــوا الـــدينا
قد قيـــل تحـــدث للأقـــوام أقضـــية * بقدر مـــا أحـــدثوا خـــذ ذاك ميزانـــا
الحمـــد لله ذي الإنعـــام هادينـــا * ثم الصـــلاة علـــى المختـــار هادينـــا
وآلـــه صـــحبه أبياتنـــا كملـــت * وعـــدها "حـــب" والتـــاريخ "نشـــقنا"

وقولي "**نصحت جهدك لكن ليت** تعذرنا" إلى آخر الأبيات، فيه حذف اسم ليت أي "ليتك" وهو جائز في الشعر، كقول الشاعر: "فليت رفعت الهم عني ساعة". وأن الأولى بل الواجب على المؤمن أن يحسن الظن بأخيه ويؤوّل جميع ما بلغه عنه ما وجد للتأويل محلا ويعذره في ذلك وأن ارتكاب أخف الضررين واجب إجماعا في الدين والدنيا والضروريات الخمس التي هي الدين، والعقل، والمال، والنسب، والعرض إذا تعارضت قدم الدين واحمل ضرر غيره فهو أخف من ضرر الدين. وإذا اعتبرت ذلك في مسئلة الأبيات وجدت ضرر

ترك النساء في الجهل لا يعرفن الواجب عليهن بل لا يعرفن الإسلام أصلا أكبر من ضرر اختلاطهن مع الرجال إذ الضرر الأول يرجع إلى الدين وهو الإيـــمان والإسلام والإحسان، والضرر الثاني يرجع إلى النسب، فافهم.

وأما في غير ضرورة ،بأن يعلمن الواجب أو وجدن من يعلمهن ،أو يسأل لهن من محرم أو زوج فلا يجوز لهن الخروج للتعلم في شروح **المختصر** كشرح الخراشي وعبد الباقي وغيرهما. وأما خروجهن لمجلس علم أو ذكر أو وعظ فيمنعن منه وإن كن منعزلات عن الرجال كما أفتى به ابن عرفة انتهى.

وقولي: "نـــمنعهم أن يفقهوا الدينا؟" فيه حذف همزة الإستفهام الإنكاري أي أنمنعهم. وقولي "قد قيل تـــحدث" إلخ، وقائل ذلك هو عمر بن عبد العزيز الإمام العدل، والله أعلم. وقولي: "وعدها حب" أي عدتا عشرة. وقولي: "والتاريخ نشقنا" أي تاريخ الهجرة النبوية في ذلك الوقت ألف ومائتان وعام واحد، وهو مراد صاحب الأبيات المتقدمة بقوله: "مع زيد العد" إذا السنة لم تكمل حينئذ.

ثم بعد هذه السنة بعام أو عامين أرسل سلطان "غوبر" الذي هو "باوا" إلى جميع علماء بلاده بأن يجتمعوا عنده في عيد الأضحى، وهو إذ ذاك في مكانه الذي يسمى "مَغَمِي" فاجتمعنا لديه وقال ما قال وتصدق على العلماء بأموال كثيرة. فقام الشيخ عثمان بين يديه وقال له: "إني وجماعتي لا حاجة لنا إلى أموالك ولكن أسألك كذا وكذا" فعدد له أمورا كلها من إقامة الدين. فأجابه السلطان "بأني أعطيتك ما سألت ورضيت لك بجميع ما تحب أن تفعل في بلادنا هذه". فحمدنا الله على ذلك ورجعنا بإقامة الدين ورجع سائر العلماء بالأموال فقلت في ذلك أبياتا وهي:

بـــحمد الله أبـــدأ مـــا أقـــول * علـــى نعـــم علينـــا لا تـــزول
على خـيـر الورى صلـوات ربـي * شـفيع الخلـق إذ هالـت حبـول
واصـــحاب لـــه والآل طـــرا * بحـار الجـود غيرهـم ضـحول
رجـال الله أنـصـار الرسـول * هـو الضـرغام ثم هـم شـبول
هـم قطعـوا رءوس الكفـر قطعـا * بأسـياف تـؤل لهـا نصـول
سـهام مرهفـات نافـذات * تؤيـدهم وتحتـهم خيـول
أمـامهم ريـاح النصـر شـهرا * ذوابلـهم تـذل لهـا وعـول
بيمنـهم نزلنـا في أمـان * وظـل لا تطاولـه ظلـول
جنينـا فيـه مـا رمنـا شـربنا * شـرابا لا تسـاويه عسـول
فشـكر الله منحـتم علينـا * جميعـا نحـن مـن لهـم عقـول
علـى نعـم الـدنا والـدين طـرا * فمن يشـكر فـذاك لـه فضـول
ومـن يكفـر فـإن الله عنـه * غـني ثم بعـد لـه كبـول
جميـع الـدين إيـمان وسـلم * وإحسـان لـه فيهـا الوصـول
فيـا رحمـان عفـوا مـن ذنـوب * فبحـر الجـود منـك لـه شمـول
وشـفع في خطايانـا نبيـا * إذا قمنـا تلـوذ بـه طمـول
عليـه وآلـه صـلوات ربي * مـع التسـليم مـا هبـت قبـول
وجعـل صـلاته بـدأ النظـام * وختمـا في القبـول لنـا فقـول
وقـد كمّلـت أبيـات الفقـير * وبغيتـه مـن المـولى قبـول
نظمـن بـوافر وزن يقـول * "مفاعلـة مفاعلـة فعـول"

وقولي: "إذ هالت حبول" أي فزعت الدواهي وهو جمع حيل بالكسر ويفتح الداهية. و"ضحول" جمع ضحل بالفتح: الماء القليل على الأرض لا عمق له، ويجمع أيضا على أضحال. و"الشبول" جمع "شبل" بالكسر ولد الأسد، ويجمع في القلة على أشبال.

هل لي مسير نحو طيبة مسرعا * لأزور قبر الهاشمـــــي محمدا

وهي أول قصيدة عربية نظمتها فيما علمت وأول التخميس هو قولي:

بســـم الإلـــه بـــدأت قـــولي شـــافعا * بمديح خـــير العـــالمين وصـــادعا

مســـتفهما نيـــل الوصـــول وذا دعـــا * هل لي مسير نحو طيبـــة مســـرعا

لأزور قبر الهاشمي محمدا

إلى أن قلت في آخره:

قد تم مـــا قـــد رمـــت مـــن تخميســـها * يـــوم الخمـــيس بجـــود ربي جئتـــها

وبحـــول رب العـــالمين نظمتـــها * وبحمـــد رب العـــالمين أتيتـــها

وجعلت عدها كسن محمد

في كـــج شـــوال لمـــن قـــد فهمـــا * في عام شـــق بعـــد ضـــح فاعلمـــا

صـــلى الإلـــه علـــى الـــنبي وســـلما * في عام قـــش بعـــد فـــتح فافهمـــا

من هجرة الهادي النبي محمد

وهذا التخميس قد ضاع مني منذ أعوام لا أدري ما أفعل ولا أظن أن أحدا نسخه ونقله ولذا ضاع. وإذا تدبرت تاريخه وتاريخ أصله وجدت بين نظمهما عشر سنين وذلك قريب لما بيني وبين الشيخ من الأعوام إذ بيننا نحو اثنى عشر عاما، والله أعلم. ومن علم تاريخ الهجرة في قصيدتي هذه علم أن مبدأ أمره في دعاء الناس إلى الدين كان وللهجرة نحو ألف ومائة وثمانية وثمانين سنة ومقداره الآن نحو أربعين سنة.

وقولي: "تؤل لها نصول"، يقال "أل السيف، أي برق، و"نصول" جمع "نصل" حديدة السيف والرمح والسهم. و"الوعول" جمع "وعل" بالفتح وككتف ودئل وهذا نادر، وهو تيس الجبل. والمراد الأشراف الممتنعون في حصونهم. و"العسول" جمع عسل وهو لعاب النحل. و"الكبول" جمع "كبل" بفتح الكاف وكسرها: القيد. و"طمول" جمع "طمل" الخلق كلهم. و"هبت قبول" بفتح القاف: "الريح التي تهب من قبل الكعبة وهي ريح الشرق". و"فئول" جمع "فال" ضد الطيرة، كان يسمع المريض: "يا سالم"، والطالب: "يا واجد"، ونحو ذلك والله أعلم.

ثم بعد ذلك تحرك قلبي إلى زيارة شيخنا جبريل بن عمر رضي الله عنه ثانيا لأنا قد زرناه أولا قبل انتقالنا من بلدنا "طغل" إلى بلاد "زنفرا" حين رجوعه من الحج ثانيا ونحن مع الشيخ عثمان رضي الله عنه فتلقيناه وهو حينئذ في موضعه المسمى "قودي" بضم القاف والدال الممالة ولبثنا معه أياما، ثم رجع شيخنا عثمان إلى الوطن وتركني عنده فلبثت عنده نحو شهرين وقرأت عليه الكوكب الساطع للسيوطي مستمعا كتبا شتى عنده يقرأها الطلاب. ثم رجعت إلى الوطن فوجدت الشيخ عثمان خرج إلى الحاج محمد بن راج لقراءة البخاري فتبعته فوجدته لم يبدأ القراءة فدخلنا معا في قراءة البخاري يقرأ ونحن نسمع سنة ألف ومائتين وواحدة من الهجرة والله أعلم.

ولما قوي عزمي واشتد إشتياقي إلى الشيخ جبريل وقد سمعت أنه انتقل من موضعه "قودي" وحل على الوادي المسمى "مَجِ" بفتح الميم وكسر الجيم المخففة أنشأت إليه قصيدتي الجيمية التي مدحته بها هو وأعوانه في الدين كشيخ الإسلام عثمان والمصطفى بن الحاج والفربري وغيرهم وكتبتها وأوصلتها إليه فأخذها وتأملها وحمد الله عليها ثم دعا لي عليها بدعوات لا أنساها، وقال: "اللهم انصر من ينصر دينك". وتلك القصيدة وهي:

عج نحو أضواج الأحبة من مج * واشرب من الإنشاج ماء الزعبج
ثج الدموع على منازلهم بها * واشف الجنان من الهموم الدمج
قف عندها سل من بها فعسى تجب * حوجاء أو لوجاء ترضي من شج
وإذا مررت مررت حي حيهم * وانشر عليهم لؤلؤا وزبردج
كم لي أخا بأباته فيهم وكم * خلصاء لم أك بينهم بمزلج
ومدارس أضنى بحب شهودها * فيها نجاح حوائج المتحوج
وجحاج علماء يحلب رفدهم * كل كبحر في العطا متموج
ولهم ككان ومبتدا في جارهم * عمل لغيرهم كلم أو في يج
ولربما عملوا كما من كف من * يعدو وتقوية الضعيف الملتج
ومواطن أشجى لفقد روابها * ليست سخارج في هواء سجسج
دع عنك ذا، عد للذي منع الكرى * لابن السرى لا تسر سير الدعلج
وادرع دلاص العزم فوق قلاصه * بمزاد صبر في الموامي مثلج
بسرى وادلاج معا وتهجر * وتؤوب حتى تزيل شجى الشجي
بزيارة الّذْ زار طيبة بعد أن * قد زار مكة في وفود الحجج
من قد سبا قلبي فتاه بحبه * فَتْوَى لديه فلا أسير ولا يج
شمس الضحى بزغت بغرب فانتحت * للشرق تشرق في قريش وخزرج
متفنن متبحر في علمه * متعطف متلطف للمعفج
سجح طليق الوجه هيّن لين * للمسلمين ومزدر للعمهج
شجر إذا نزلت عليه سفنة * لم ترتحل عنه لفقد الخرفج
من جاءه يشكو العوائص ينثني * عنه بقلب ذي انشراح مثلج
ولسوف يروى منه كأسا سابغا * أصفى وأحلى من كئوس السعمج
قمن جدير أن يرى علماؤنا * عنقا لبحر العلم فهو به حج
احج بأن نحجو لديه ونرتوي * من بحر شيخ في العلوم ملجج
شيخ الشيوخ فريد دهر ظاهر * فوق المبارز بالعلوم متوج
جبريل من جبر الإله به لنا * دينا حنيفا مستقيم المنهج
وافى وحزب ضلالة في تلعة * والدين في وهد كشيء بهرج

فـــازاح عنـــه حنـــادس الأعـــلاج مـــن * عـــاداهم وكســـاه حلـــة زبـــرج
لم يخـــش في إظهـــار ديـــن الله مـــن * مســـتهزئ أو لائـــم مـــتمجمج
ولـــه شـــبول نـــائبون منابـــه * والشـــبل عنـــد الســـبر مثـــل الخـــزرج
فغـــدا لـــه نـــور الزمـــان مســـاعدا * أو ســـاعدا في فـــتح بـــاب مـــرتج
إظهـــار ديـــن الله بـــين عـــدوه * لم يلتفـــت لمكـــذب مـــتلجلج
عثمـــان مـــن قـــد جاءنـــا في ظلمـــة * فـــأزاح عنـــا كـــل أســـود دجـــدج
ودعـــا إلى ديـــن الإلـــه و لم يخـــف * في ذاك لومـــة لائـــم أو فجفـــج
فانصـــات خلـــق حـــين صـــات لصـــوته * وعـــلا لـــه صـــيت فويـــق الأبـــرُج
بشـــرى لأمـــة أحمـــد ببلادنـــا * الســـودان في هـــذا الزمـــان المبهـــج
كـــم ســـنة أحييتـــها وضـــلالة * أخمـــدتها جمـــرا ذكـــى بتـــأجج
وطلعـــت في أرض عوائـــدها عـــدت * وتخالفـــت ســـنن الـــنبي الأبهـــج
إســـتعظمتها أهلـــها فاستأســـدت * وصدت دويـــن الـــدين بـــاب الـــولج
فاستنســـرت بغثائهـــا وتنمـــرت * جرذانهـــا ترمـــي بنصـــل ســـلمج
مـــن أراد ديـــن الله يمحـــو عزهـــا * فقمعتـــها قمـــع القـــوي الأعـــوج
فقصـــمتها بـــالبيض مـــن آياتـــه * وأســـنة ســـنن الـــنبي الأعـــدج
صـــلى الإلـــه عليـــه مـــا هـــز الصـــبا * عذبات غصن في الريـــاض خـــير بـــج
ولكـــل فرعـــون طغـــى موســـى ســـطا * وقضـــية عاصـــت علينـــا تـــنفج
فـــابيض وجـــه الـــدين بعـــد محاقـــه * واســـود وجـــه الكفـــر بعـــد تـــبلج
والـــدين في عـــز ونهـــج منـــهج * والكفـــر في ذل ونهـــج منـــهج
والســـنة الغـــراء صـــبح ينجلـــي * والبدعـــة الســـوداء ليـــل يـــدج
طمســـت معالمهـــا وأخلـــق ثوبهـــا * والـــدين في درع يـــميس مـــدبج
وتفجـــرت للـــدين مـــن بركاتـــه * عـــين الحيـــاة تـــذل مـــاء الحشـــرج
فجـــرى المـــذانب للمشـــارب أفهقـــت * ماء يقول صـــفاءه: "هـــل مـــن يـــج"
حـــتى تـــبرج مثـــل بـــدر طـــالع * بليـــال صـــحو أو صـــباح مـــبلج
أو روضـــة ضـــحكت بهـــا أزهارهـــا * تزهـــي بهـــا عـــذبات غصـــن عســـلج
أو عنقـــر أو جنـــة أو انجـــم * بخميلـــة أو ربـــوة أو حنـــدج

فأجادهـــا جـــود لـــدى جـــود لـــه * هب الصبا مـــن بعـــد مـــرى الخـــزرج
فتفرعـــــت قضـــــبانها وتســـــاجعت * أطيارهـــــا كالشـــــاعر المتـــــهزج
وتكاثفـــــت قصـــــبانها غلبـــــا لهـــــا * ضـــعفان مـــن أكـــل حبتـــه ســـلجلج
وتباهجـــــت فتضـــــوعت أرياحهـــــا * بنضـــارة مـــع خضـــرة وتـــأرج
وكأنـــــما أنـــــواره بـــــين المـــــلا * أنـــوار روض أو منـــائر صـــولج
وكـــــأن رزهـــــم بجمعـــــات لهـــــم * عكـــــر ســـــوام أو ثـــــلال الثـــــوج
حمـــدا وشـــكرا للـــذي قـــد خصـــنا * بزمـــانهم مـــع حبـــهم ذا مخـــرج
ســـعد الزمـــان بهـــم وزايـــد خـــيره * فبحبـــهم غفـــران ذنـــبي أرتـــج
وبجـــاه مـــن يرضـــى غـــدا بشـــفاعة * كهـــف البرايـــا فهـــو أعظـــم ملـــتج
وهـــــو المســـــمى أحمـــــدا ومحمـــــدا * مالي سوى شـــوقي لـــه مـــن كســـبج
صـــلى الإلـــه عليـــه مـــا نشـــر الصـــبا * ريـــــا ريـــــاض أوزرت بينفســـــج
وعلـــى الصـــحابة كلـــهم مـــع تـــابع * لهـــم بإحســـان ليـــوم المخـــرج

ولم أفسر لغات هذه القصيدة هنا لأني فسرتها في النسوخ المكتوبة وهي كثيرة عندنا، فمن أرادها فليرجع إليها، وإن يسر الله لنا سنضع عليها شرحا إن شاء الله يبرز مخدراتها لأنـــها قد حوت من علوم العربية وعلوم البلاغة ما لو تأمله اللبيب المنصف لعدها من كرامات الشيخين الممدوحين بها فإني والله ليس لي قوة فيها ولا حول وإنـــما هي نفحة من نفحاتهما وبركة من بركاتهما أفاضها الله علينا آمين.

وأما شيخنا الحاج محمد بن راج المذكور فيما تقدم فقد مدحته حين تلقيناه من حجه بقصيدة جيمية أيضا، أولها:

هنيئـــــا نيـــــل خـــــير بـــــانعراج * إلى حـــــاج شـــــهير بـــــابن راج
صـــــبور فـــــائق العلمـــــاء علـــــم * الحـــديث مضـــيئه مثـــل الســـراج
طليـــــق هـــــين لـــــين منيـــــل * أبـــــاريز الحـــــديث لكـــــل راج
ومـــــورده ذلالا منـــــه أصـــــفى * وأنقـــى مـــن ميـــاه في شـــراج

فيصـــدر منـــه ذا نقـــل صـــحيح * يحاكي فيـه سـعد بـن الشـراج
وأخلـــق أن ينيـــل بهـــا مقـــيم * طـــويلا في المدينـــة بـــانفراج
أتانـــا بالصـــحاح الســـت نقـــلا * صـــحيحا زانـــه ضـــوء اختـــراج
وأحـــرى في أحاديـــث البخـــاري * لـــه فيهـــا مجـــال ذو انضـــراج
فمهمـــا رام في التـــدريس منـــها * تجـــي ذلـــلا إليـــه بـــالخراج
فشـــكرا للمرجعـــه إلينـــا * نصـــاحبه إلى يـــوم انـــدراج
بحمـــد الأحـــد يـــوم الأحـــد تمـــت * وهجرتنـــا برمـــز هـــش راج

وقد نظمت سندنا منه للبخاري بعد ما أتممناه عليه بقولي:

يقـــول عبـــد الله بعـــد الحمـــد * لله والصـــلاة في ذي المجـــد
أخبرنـــا محمـــد بـــن راج * أي عمنـــا خلاصـــة الحجـــاج
الجـــامع الصـــحيح للبخـــاري * والشـــيخ عثمـــان عليـــه القـــاري
عـــن شـــيخه بطيبـــة أبي الحســـن * العـــالم الســـندي حـــافظ الســـنن
عـــن شـــيخه محمـــد حيـــاة * عـــن ابـــن ســـالم عـــن الثقـــاة
محمـــد البـــابلي المصـــري * عن ســـالم أبي النجـــا الســـنهوري
عـــن شـــيخه الغيطـــي أي محمـــد * عن شيخ الإسلام بمـــا عـــن أحمـــد
ابـــن علـــي حجـــر الشـــيوخ * عـــن إبـــراهيم وهـــو التنـــوخ
عن أحمـــد الحجـــار عـــن زبيـــدي * عـــن عبـــد الأول عـــن الـــداوود
عـــن السرخســـي عـــن الفربـــري * عـــن البخـــاري العظـــيم الأمـــر

ثم لما قضى الشيخ عثمان وطره في بلاد "زنفرا" من تبليغ الدين ورأى جماعته قد تـــمكنت فيها واشتغلت بالدنيا فيها خاف عليها ذلك فانتقل من بلاد "زنفرا" ورجع إلى وطنه "طغل" حتى قام منها للهجرة بدينه كما سيأتي إن شاء الله.

وبعد رجوعنا إليه رحلنا معه لتبليغ الدين نحو الغرب فجلنا جميع بلاد "كب" نبلغ الدين حتى وصلنا معه إلى بحر كُوَارَى وهو البحر الأعظم في بلادنا فدخلناه حتى وصلنا إلى غربيه في بلد يسمى "إلُو" فبلغناهم الدين ورجعنا إلى الوطن. ثم رحلنا إلى بلاد "زَومَ" نبلغ الدين حتى وصلنا إلى محل أميرها بموضع يسمى "زقو" فرجعنا إلى الوطن وقد تاب فيها كل من قدر الله له التوبة.

ثم بعد ذلك سمعنا برجوع خالنا أبي علي محمد ثنب بن عبد الله بن محمد ابن سعد العالم المشهور في قبيلتنا ففرحنا برجوعه لأنه عالم من علمائنا وصالح من صلحائنا لم يترك فينا حين خرج أفضل منه في العلم والصلاح فيما أعلم فشمنا بروق وصاله ثم سمعنا أنه قد مات في قرية "أقدس" قبل وصوله إلينا فحزنا عليه حزنا شديدا لطمعنا في زيادة العلم بوصوله. فرثيته بأبيات وهي:

فيا للمسلمين ليبك خالي * محمد ثنب ذو علم وخال
فقد حمدت شمائله قديما * بعلم والتقى قبل ارتحال
إلى الحرمين حتى قام عشرا * وبضعا فيهما يبني المعال
فقدر ربه أن سوف يبدو * بأقدس قبره بعد الزوال
فرجعه إليه عام شرز * فشمنا نحوه برق الوصال
تهب به الصبا بجنوب بشر * فصيرها ملمات الزوال
بروقا خلبا بدبور ريح * عقيم شابها ريح الشمال
فخاب ظنوننا فيه فصارت * كأضغاث الحلوم وبحر آل
فأودع فيه في رمضان يوم * العروبة منه للسبع الخوال
فيسقيه غيوث العفو دوما * وتسنيم الرضى أهل النوال
بجاه محمد كهف البرايا * وأصحاب له وجميع آل
ويسأل ناظم الأبيات سترا * من الزلات من حلل الجمال

عبيـــد جاهـــل في بحـــر ذنـــب * غريـــق حـــار في بحـــر الخيـــال
حقـــير أعجـــم عجمـــي حـــي * أبـــوه وأمـــه مـــن آل عـــال

واللام في للمسلمين مفتوحة لأنه لام مستغاث منه، وقولي: "ذو علم" فاعل لفعل محذوف وكأن قائلا قال: "من يبكيه؟" فقيل: "يبكيه ذو علم؟" على حد قول الشاعر:

ليبك يزيد ضارع لخصومة

وقولي: "وخال" أي من خلا عن العلم، وهو الجاهل. أي يبكيه العالم لفقد الزيادة والجاهل لفقد المعلم. وقولي: "عجمي حي" فحينا تورب الذين جاءوا من فوت وهم فيما نسمع هم أخوال جميع الفلانيين ولغة الفلانيين لغتهم لأن عقبة ابن عامر المجاهد الذي فتح بلاد الغرب زمن عمرو بن العاص في مصر وصل إليهم وهم قبيلة من قبائل الروم فأسلم ملكهم من غير قتال وتزوج عقبة ابنة ملكهم اسمها "بج منغ" فولد الفلانيين جميعا، هذا ما تواتر عندنا وأخذناه عن الثقاة الذين يخرجون من بلاد فوت أعني العلماء فتكلموا بلغة أمهم و لم يعلموا لغة أبيهم لقلة من يتكلم [بها] هناك في ذلك الوقت.

وأما ما يقال من أن أولاد عقبة هم أول من تكلم بتلك اللغة فبعيد لأن اللغات كلها كانت ثابتة من لدن آدم، ولأن ذلك خرق عادة. والأقرب أنـــهم تكلموا بلغة أمهم ،وليست لتورب لغة أصلية غير تلك اللغة، والله أعلم. وقد علمت أن الروم هو ابن عيص بن إبراهيم عليهما السلام وأمه نسمة بنت إسماعيل عليه السلام. قال ذو النسبين في كتابه التنوير: "ولد إسماعيل عليه السلام اثني عشر رجلا وامرأة واحدة فمن أولاده نشر الله العرب كلها. فلما حضرته الوفاة أوصى إلى أخيه إسحاق أن يزوج ابنته نسمة من العيص فزوجها منه فولدت له الروم وكان الروم أصفر فسميت بنوه بني الأصفر". انتهى.

وقولي: "أبوه وأمه من آل عال". فعال هذا من جدودنا واسمه علي، لأن أمنا حواء هي بنت محمد بن عثمان بن عال وأم أبينا هي مريم بنت جبريل بن حم ابن عال وأبونا هو محمد بن عثمان بن صالح بن هارون بن محمد غورطو هو أخو عال فيما نسمع، وأبوهما محمد حب بن محمد ثنب بن أيوب بن ماسران بن بوب باب بن موسى. وموسى هذا هو الذي جاء من بلد فوت تور فيما نسمع. والله أعلم.

ثم لما رأيت أكثر البلاد يأتي عوام أهلها، وخواصهم إلى الشيخ عثمان ينتفعون بمواعظه ويتأدبون بآدابه ويدخلون في جماعته أفواجا ، فلم أر ذلك في غالب قبيلتنا وهم أولى بذلك.نظمت قصيدة حائية وسميتها رسالة النصائح وأرسلتها إليهم ليتأملوا ما فيها وليسارعوا إلى نصر دين الله تعالى:

ولم أشتغل بتفسير لغات هذه القصيدة هنا لما مر في الجيمية. ولما وصلت هذه الرسالة إلى علماء قبيلتنا تلقوها بالقبول ، فقاموا لإظهار الدين في قبيلتنا كالمصطفى بن الحاج عثمان ومحمد الفربري بن محمد وزيد بن الحاج محمد سعد، وأبي بكر بن عبد الله المعروف بلقبه لاَدَانْ وغيرهم وأشدهم قياما للدين وغناء فيه هو المصطفى؛ لأنه أول من تلقى الرسالة وقرأها على الجماعة وأمرهم بالطاعة ثم شمر عن ساعده وخمس الرسالة بتخميس يمتزج بها امتزاج الماء بالراح؛ تأكيدا لنصر ما فيها وقبوله ثم شرحه أخونا زيد الأثري رحم الله عن الجميع ولما مات أخونا المصطفى رثيته بقصائد منها هذه:

طربت فأشجاني الطيور الكوابح * وفرحني منها الغيوث الروائح
وخوفني أيضا ذياب بوارح * وأمنني منها الظباء السوانح
لقول النبي: "لا تزال جماعة * على الحق منا أو يجيء المقارح"
ألا أبلغن عني لحيي رسالة * تعيها رجال أو نساء صوالح
لعالمهم أو طالب العلم رائم * لإظهار دين الله فيه يناصح
أقول له: "قم وادع للدين دعوة * تجبها عوام أو خواص جحاجح
ولا تخش في إظهار دين محمد * بقولة قال تأتسيه كناتح
ولا تخش تكذيبا وإنكار جاحد * وهزئ جهول ضل والحق صابح
وغيبة هماز وضغن مشاحن * يساعده من للعوائد راكح
وليس لما تبني يد الله هادم * وليس لأمر الله إن جاء ضارح
وبين لهم أن العوائد بهرجت * وسنتنا لاحت عليها لوائح
ولهو الشباب اليوم قد بار سوقه * وقامت على سوق الصلاح مدائح
وأهل الدنا اليوم انزوى ظل جاههم * وسنتنا قد ظللتها الدوائح
ومنكر هذا الدين قد خف وزنه * ومظهره ميزانه اليوم راجح
وناصره قد صار في الناس عاليا * ومنكره للخاص والعام دانح
وأن إله العرش قد من منة * علينا ومن يشكر فذلك رابح
ومن كفر الإنعام واتبع الهوى * ففي الدنيا بله القيامة طائح
وتلك بأن قد بين الدين في امرء * لنا نسبا نعلو به ونطامح
فإن نحن آويناه لننصر قوله * نفز ونحز نعماه والكل فالح
وإن قد أضعناه أفاد بغيرنا * مصائب قوم عند قوم مصالح
ولو نفعت قربي فقط فيه ما ردى * أبو طالب عم النبي وتارح
وما ضر شمسا أن نفى العمى ضوءها * وما ضر حوضا إن أبته القوامح
أطائب أرض تخرج النبت رائقا * بإذن ذويها إن أفاضت دوائح
ولو همعت ديما لما أنبتت ولو * بسا بيس نبت في الأراضي البوالح

فلا يمنع الإرشاد عدم قبولهم * فمدخلهم مولاهم أنت فاتح
فإنك إن بلغتهم ضاع عذرهم * فساقيهم المولى فإنك جادح
مطيع لما قد قاله سيد الورى * "به بلغوا عني" أتته صحائح
وأمر بمعروف ونهي لمنكر * طريق من القرآن باد صمادح
وأمر معروف ونهاه لمنكر * على شرطه للناس بالحق قارح
وفهمهم ما يلزم المرء عقده * من الدين مما سهلته القرائح
وغسلا وضوءا أو صلاة زكاتهم * وصوما وبيعا ثم كيف يناكح
وواجبها مسنونها مستحبها * ومنهيها والكل في الكتب واضح
وعلم نساء سترهن بأن ترى * على غير وجه والأكف القواسح
وعلمهم الإحسان كيف يراقبو * ن مولاهم ذو جدهم والصمادح
وكيف التخلي من صفات ذميمة * وكيف التحلي بالحميدة ناصح
وكيف تراعي نية في جميعها * ليرعاه ذو فهم يطيعك لاتح
بنفسك فابدأ حائدا عن هُوى الهوى * لدى سومها ترعى وإنك كابح
أضر عدو من بدارك ساكن * مطيع لشيطان وللدين قافح
سلامة عيب النفس عزت لما لها * يكون خلال المنكرات المسارح
فلا تستطيع الترك عن شهواتها * ولم تحتمل ذلا كذاك السبادح
لجاؤك بالمولى وتقليل مطعم * دواء لا دواء النفوس مطحطح
وبالأصغرين احفظ وبالأجوفين وال * جواسيس صن دوما تطعك الجوارح
تباع القرآن والنبي وصحبه * وتابعهم ترياق من هو صالح
عليه صلاة الله ثم عليهم * كذاك سلام بالرياحين فائح
وكتب تراعي سنة مثل مدخل * ومستخرجات منه فيها نصائح
كنياقها وكذاك إحياء سنة * لباب طريق الصالحين مصالح
غزاليها وكذاك زروقياقها * عطائيها تشفى بهذي القبائح
بجائيها أو ما حذا حذوها ولا * يعاملها معشوق دنياه طالح

يوفقنـــا المـــولى بجـــاه نبيـــه * بســـنته حـــتى تجـــيء الفـــوادح

عليـــه صـــلاة الله ثم ســـلامه * وأصـــحابه مـــا رن تـــال ورائـــح

عفت عندي منازل أهل كيرى * وحل على معارفها نكيري
لفقد المصطفى فيها بليل * لصبح في صباح فمطرير
هو ابن الحاج أي عثمان غيا * سراج الحي مأوى للفقير
لقد رزأت قبيلتنا جميعا * بفقد الصالح الفطن المجير
عماد العلم محيي الدين فيهم * كثير الصبر مصباح العشير
صفوح منزل الأضياف لين * خليل للصغير مع الكبير
يحق لنا البكاء عليه لكن * رضينا فعل قهار خبير
لبيك المصطفى طلاب علم * ودين مع غريب مستجير
سقى الله الكريم غيوث عفو * له قبر الحبيب المستنير

ومنها هذه أيضا:

آن ارعواؤك إذ رآك الدار * بفعالها من أنها غدّار
دار يموت بها حبيبك لا ترم * فرحا بدار صفوها أكدار
لكن هذا لم يكن بدعا بها * قد مات فيها قبله الأخيار
ولسوف تمضي مثلهم وتذوق ما * قد ذاقه الأخيار والأشرار
فالمصطفى من بيننا هو كاسمه * مرضينا وأميننا المختار
إن الرزايا فقدنا أمثاله * لكن رضينا ما قضى الجبار
سبحان من قد خصه بالعلم والـ * تقوى وخلق يرتضيه الجار
قد قام في إظهار دين محمد * بين الورى والجرح فيه جبار
حتى بدا في الحصن من أقواله * وفعاله ترمي به الأحجار
كم واجبات في الضياع أقامها * في الحي تسخره بها الفجار
ومحرمات دعّها قد صيرت * مثل المباح يلومه الأغمار
وعوائد مذمومة قد ذادها * يجري بها العلماء والأبرار

ما خاض لهو الجاهلية قط من * حال الصبا حتى أتى الإنذار
ولقد فقدت أخا حبيبا ناصرا * في ديننا إذ أعوز الأنصار
خلا صدوقا لا يريبك فعله * ومقاله يختار ما تختار
فدع العيون تجود فوق حبيبها * فجرها هجم أو اسمدرار
لو أن عينك ساعدت لهمت دما * بدل الدموع سحابها حدار
فليبكه من كان فيه غيرة * في الدين فهو أمونه الحدبار
نبكي عليه ترحما مع أننا * نرضى بما جاءت به الأقدار
فسقاه من رب غفور راحم * غيث المحبة والرضى المدرار
سبحان من قهر الخلائق كلها * بالموت وهو الواحد القهار
ما ترتجى في هذه الدنيا التي * ما تأتلي تزكو بها الأخطار
فالدار مثل جهامة وسفاسط * أو قل سراب ريّها أوّار
أو نهر طالوت الذي شرابه * هيم وضاعت عندهم آصار
وخيال طيف مستراح مسافر * رام المقيل فصاحه جئار
قد شيب سيغ أريها من شريها * فتخالطا فبخورها أبخار
وسباطة السرقين تُرمي فوقها * جيف الموات كلابها التجار
أو مرتع مستوبل حيوانه * مستوبد مؤتانه دفار
وعجوزة زلاء في مصبوغة * ثم ارتدت مخضرة ممكار
حتى سبت أغمارها بأسارها * إثئارهم ما ناله إثئار
أو حية جسم مليح لين * والسم فيها ناقع ضرار
وثريدة مسمومة مغموسة * في السمن ذرت حولها أبزار
شرك الدرى وقتار مكر سلعة * الشيطان يغري والهوى سمسار
قد آذنتنا بالفراق بحالها * وفعالها فغرابها مجهار
فالله ينجينا معا من شرها * بمحمد فيعمنا الأنوار

صـــلى الإلـــه عليـــه مـــع أصـــحابه * مـــا تـــممت بســـلامهم أشـــعار

ويقال في هذه ما تقدم في الجيمية والحائية.

ولما قام هؤلاء العلماء بنصر الدين في بلادنا زاد اشتهارا وكثر أتباعه وجاء إلى الشيخ عثمان رضي الله عنه الناس أفواجا شرقا وغربا يـــمينا وشمالا حتى وصل أمره إلى بلاد الشيخ العالم الصالح المشهور في بلاد الغرب وغيرها بلقبه المختار وكان فيما نسمع يحض الناس على اتباع ما يقول الشيخ عثمان حتى جاء إلينا رجل عربي من ناحيته وقال لنا إنه من تلامذته يقال له الشريف فأكرمناه غاية الإكرام وسألناه عن أحوال الشيخ المختار وكان يصف لنا أحواله حتى تهيأ للرجوع إلى الشيخ المختار كتبت أبياتا أرسلتها معه إلى الشيخ ولا أظنها وصلت إليه وهي:

بلغ شريف شريف أصـــل كاسمـــه * عـــني لشـــيخ كاسمـــه المختـــار
أخبـــاره في علمـــه وصـــلاحه * سارت بها الركبـــان في الأمصـــار
بل في القرى بل في البراري كلـــها * بل في البحـــار الكـــل والأنهـــار
شمس المشـــارق والمغـــارب كلـــها * قطب الزمـــان وحليـــة الأبـــرار
اخـــبره أنـــا لائـــذون بذيلـــه * أبـــدا وإن كنـــا بـــذي الأقطـــار
مـــتعلقين بـــه نـــروم دعـــاءه * ونشيم منـــه ســـحائب الأمطـــار
إنـــا وإن كنـــا بـــأرض لم تكـــن * للمســـلمين نقـــيم في الكفـــار
لسنا نخـــالطهم بشـــيء بـــل لهـــم * دين لنـــا ديـــن الـــنبي المختـــار
ومرادنـــا إن يســـر المـــولى لـــه * تأليفـــه لنـــراه بالأبصـــار
ونريـــد مـــن إســـناده مـــا نالـــه * من شـــيخه في العلـــم والأذكـــار
فـــالله ينفعنـــا بـــه وينيلنـــا * بركاتـــه بنبينـــا المختـــار
صـــلى عليـــه الله مـــع أصـــحابه * ما ســـارت الركبـــان بالأخبـــار

ثم إن شيخنا عثمان أدام الله عزة الإسلام به لما رأى كثرة الجماعة وطلبها مفارقة الكفار وإقامة الجهاد جعل يحضهم على السلاح ويقول لهم: "إن استعداد السلاح سنة". فجعلنا نستعده. وجعل يدعو الله أن يريه ملك الإسلام في هذه البلاد السودان ونظم ذلك في قصيدته القادرية العجمية، فعربتها بأبيات وهي:

يـــا رب عـــالم بـــاطن كالظـــاهر * أجـــب الـــذي يـــدعو بعبـــد القـــادر
بركـــات أحمـــد في بـــلاد الله قـــد * عمـــت وجمـــت عنـــد عبـــد القـــادر
يـــا رب يـــا متفضـــلا لعبـــاده * صـــلني بفضـــلك عنـــد عبـــد القـــادر
إن المســـيء لـــدى الأكـــابر يلـــتج * فلجأت عنـــد الشـــيخ عبـــد القـــادر
إن كنت لم أحســـن فشـــيخي محســـن * إني لمنتســـب لعبـــد القـــادر
ما كنت أهلا أن أجـــاب أجـــب لكـــو * ن وســـيلتي درجـــات عبـــد القـــادر
إيـــمانا مـــع ســـنة في طاعـــة * زدني بهـــا بالشـــيخ عبـــد القـــادر
والكفـــر مـــع بـــدع ومعصـــية عـــني * بَعِّـــدْ بكثـــرة جـــاه عبـــد القـــادر
يـــا رب زدني بـــالعلوم النافعـــة * مـــن درجـــة المســـمى بعبـــد القـــادر
أرني بـــدينك غالبـــا في هـــذه البلـــ * ـــدان مـــن درجـــات عبـــد القـــادر
يـــا رب فاســـترني بســـترك دائمـــا * مـــن درجـــة المســـمى بعبـــد القـــادر
صني من الشـــيطان مـــن إنـــس ومـــن * جـــن بجـــاه الشـــيخ عبـــد القـــادر
ومصـــائب الـــدنيا وأخـــرى نجـــني * مـــن درجـــة المســـمى بعبـــد القـــادر
حسن أمـــوري في الـــدنا وفي الآخـــره * بمكـــان مـــن يـــدعى بعبـــد القـــادر
يـــا رب يســـر لي الشـــدائد كلـــها * مـــن درجـــة المســـمى بعبـــد القـــادر
يـــا رب خـــاتمتي فأحســـنها إذا * مـــوتي أتـــى بمكـــان عبـــد القـــادر
يـــا رب يســـر لي إجابـــة منكـــر * ونكـــيره بمكـــان عبـــد القـــادر
يـــا رب مـــن تعـــذيب قـــبر نجـــني * يا رب مـــن درجـــات عبـــد القـــادر
يـــا رب نعمـــني نعـــيم القـــبر مـــن * درجات مـــن يســـمى بعبـــد القـــادر
يـــا رب مـــن شمـــس القيامـــة نجـــني * يا رب مـــن درجـــات عبـــد القـــادر

ربي كتابي من يميني آتني * يا رب من درجات عبد القادر
يا رب يسر لي حساب قيامتي * يا رب من درجات عبد القادر
يا رب ثقل لي موازيني غدا * يا رب من درجات عبد القادر
يا رب جاوزني صراط جهنم * يا رب من درجات عبد القادر
يا رب ادخلني شفاعة أحمد * خير الورى بمكان عبد القادر
يا رب من حوض لأحمد فاسقني * خير الورى بمكان عبد القادر
يا رب من نار أجرني مدخلا * في جنة بمكان عبد القادر
يا رب زوجني بحور عينها * يا رب من درجات عبد القادر
أرني إلهي وجه أحمد ملجئي * خير الورى بمكان عبد القادر
يا رب في الراءين ذاتك عدني * وأجب بدعواتي بعبد القادر
وأجب دعاء رجالنا ونساءنا * يا رب من درجات عبد القادر
ودعاء كل المؤمنين تقبلن * نظمي وسيلتنا بعبد القادر
وأجب دعاء مؤلف مع كاتب * يا رب من درجات عبد القادر
أجب الدعاء لحافظ مع قارئ * يا رب من درجات عبد القادر
أجب الدعاء لسامع مع فارح * بالنظم من درجات عبد القادر
قد تم في شهر الربيع الأول * شهر لأحمد جد عبد القادر
تاريخ هجرته بشير أبشروا * وتوسلوا بالشيخ عبد القادر
عربت ما لأخي وشيخي عجمة * متوسلّين معا بعبد القادر
وحروف نظمي أتبعت بحروفه * إلا قليلا حافرا عن حافر
أرجو ببركته القبول لأنني * تلميذ تلميذ لعبد القادر
بركات أحمد في بلاد الله قد * عمت وجمت عند عبد القادر

فصل في سبب هجرتنا وجهادنا وأبيات وقائعه

ولما رأى الملوك وأعوانهم جماعة الشيخ يستعدون بالسلاح خافوا ذلك مع أنهم قبل ذلك يغيظهم كثرتها وتفردها عن أحكامهم فأظهروا بألسنتهم العداوة يتوعدون للجماعة بالغزو والإستيصال وما تخفي صدورهم أكبر، فجعلوا يمنعون ما يسمعونه من زي الجماعة كالعمائم وأمر النساء بالتستر فخاف بعض الجماعة من وعيدهم وهم قوم أخينا عبد السلام فهاجروا قبلنا إلى مكان في "كب" يسمى "غِمْبَنَا" فأرسل سلطان غوبر إليهم أن يرجعوا فأبوا.

ثم أرسل ذلك السلطان إلى الشيخ أن يسير إليه فسرنا إليه، وقصده إهلاكنا والله لم يسلطه علينا، فلما دخلنا عليه في قصره جاء إلينا ونحن ثلاث: الشيخ وأنا وعمر الكموي صديقه فضرب علينا نِفْطَه ليحرقنا بناره، فرجعت النار إليه فكادت أن تحرقه ونحن ننظر إليه ولم يتحرك واحد منا وفر متقهقرا، ثم رجع إلينا بعد مدة وجلس قربنا فوصلنا إليه وكلمناه فقال لنا: "فاعلموا أني لا عدو لي على الأرض مثلكم". وبين لنا عداوته فبينا له أنا لا نخافه، ولم يعطه الله القدرة علينا فقال في ذلك ما قدر الله له أن يقول مما لا أقدر الآن أن أحكيه فكفه الله عنا فخرجنا من عنده إلى منزلنا ولم يعلم بشيء من ذلك غيرنا. فقال لنا الشيخ: "اكتما ذلك، فادعوا لنا الله تعالى أن لا نلتقي مع هذا الكافر بعد هذه المرة". فدعا على ذلك وأمنا عليه.

ثم رجعنا إلى بلدنا فأخرج جيشا بعد ذلك إلى جماعة عبد السلام فغزاهم وقتل مَنْ قُتل وأسر من أسر من المسلمين ،وتفرق باقيهم في أرض "كب" فزاده ذلك تكبرا وطغيانا. فجعل هو ومن اتبعه من أهل بلده من الكفار والفساق يهددوننا بمثل ذلك، حتى أرسل السلطان إلى الشيخ أن يخرج من بين جماعته ويفارقهم إلى ناحية هو مع عياله فقط. فأرسل إليه الشيخ: "إني لا أفارق جماعتي ولكن أفارق بلادك، وأرض الله واسعة". فتهيأنا للهجرة وأرسل إلى الشيخ أن لا يقوم من محله، فأبى. فهاجرنا إلى مكان في أطراف بلاده في البوادي

يسمى "قُدْ" بضم القاف والدال، فأمر ولاة بلاده أن يأخذوا كل من يسير إلى الشيخ. فجعلوا يفتنون المسلمين يقتلونهم ويأخذون أموالهم. ثم جاوز الأمر إلى أن كانوا يرسلون الجيوش إلينا.

فاجتمعنا لما اشتد ذلك فأمّرنا الشيخ علينا لينضبط أمرنا وهو قبل ذلك كان إمامنا وأميرنا فكنت بحمد الله أول من بايعه على الطاعة على الكتاب والسنة. ثم حفرنا هناك حصنا. ثم جعلنا ننتصر ممن يغزونا فغزوناهم وفتحنا حصن "مَتَنْكَر" وحسن سلطان "كنّ". ثم جاء سلطان "قوبر" ينف إلينا وقد جمع الجيوش من النوبة والتوارق والفلانيين المتبعين له ما لا يعلمه إلا الله. فأخرج لنا أمير المؤمنين جيشا إليه وأمرني عليه فالتقينا معه في مكان يسمى "قُرْدَمْ" قريبا من حوض يسمى "كُتُ" بكاف وتاء مضمومتين بضمة إشمام فهزم، الله جيوشه بمنه وفضله، فله الحمد والشكر. فغنمنا أموالهم وقتلناهم وطردناهم، ورجعنا إلى الشيخ سالمين غانمين. فقلت في ذلك أبياتا وهي:

بدأت ببسم الله والشكر يتبع * على قمع كفار علينا تجمع
ليستأصلوا الإسلام والمسلمين من * بلادهم والله في الفضل أوسع
توارق مع قوبر وينف سفيههم * يحزبهم والله يرآى ويسمع
ولما أتوا غُنْغُنْغ ما فيه أفسدوا * بحرق وتخريب وأسرى تقطع
فجاسوا غياضا في بجويّ فقتّلوا * جموعا من الأعراب والمال يُجمع
فزادهم كفرا وزادوا تكبرا * عليهم جلال والقوانس ترفع
ولبس شفوف يزدهيهم وخيلهم * لها خيلاء والذوابل شرع
فقلت وفالي مثل أمر محقق * لديّ: "سينفي ينف بالذل يرجع"
وكنا انتظرناهم مواضع بيننا * ثلاثة أيام وآخر يربع
ولما رأينا جبنهم عن جموعنا * رحلنا إليهم واللواء مرفع
وقيل. "لنا ساروا إلى كُتُ غربكم * لكي يرجعوكم نحو شرق فتجمع"

فقلت: "النَّجا لا يسبقونا لأهلنا" * بعشر ربيع بدرها يتطلع
وصلنا لأهلينا فجاوزت منزلي * بغير جلوس فيه والناس هجع
وليس معي إلا قليل أطاعني * على السير بعد الأين والجوع يلذع
ولما رأينا الفجر ضاء عموده * نزلنا فصلينا إلى أن تجمع
فسرنا إلى غردم وقد تم جمعنا * قبيل زوال اليوم والجمع يوزع
فذدنا جموع الكفر عن حوضه وقد * رأوا جمعهم مثلي جماعتنا فع
فظنوا محل الغيل ينصر جمعنا * وإن الربى من ناصريهم ستنفع
ففروا إليها ثم صفوا وانطقوا * طبولهم والجمع يدنو ويتبع
إلى أن تراءينا وزاد اقترابنا * رموا فرميناهم فولوا واقشع
فلم يك إلا أن رأيت جهامهم * قد انكشفت عن شمس الإسلام تلمع
بنصر الذي نصر النبي على العدى * ببدر بجمع م الملائك يجمع
وكم ذي جلال صرعته أكفنا * فجزت فؤوس رأسه يتقطع
وكم من كمي جدلته سهامنا * وأسيافنا واراه طير وأضبع
طردناهم وسط النهار ولم يكن * لهم غير غيل في دجى الليل مفزع
فجمّع ظُهرَي مع عشاءيه ينفهم * بريم على الإيماء والشمس تطلع
لكل الجهات قد تفرق جمعه * بداد ليوم الجمع لا يتجمع
فخلوا لنا أموالهم ونساءهم * على رغمهم والله يعطي ويمنع
ونحن على الإسلام جمع تناصروا * ولسنا بشيء غيره نترفع
قبائل إسلام فتورب حينا * فلانينا حوسينا الكل مجمع
وفينا سواهم من قبائل جمعت * على نصر دين الله كان التجمع
فتورب أخوال الفلانيين إخوة * لعرب فمن روم بن عيص تفرع
وعقبة جد للفلانيين من عرب * ومن تور كانت أمهم بج منغ ع
فسل عنهم من حاربوا بمتنكر * وكن وريم قص الأخبار يسمع

فيا أمة الإسلام جدوا وجاهدوا * ولا تهنوا فالصبر للنصر مرجع
فقتلاكم في جنة الخلد دائما * وراجعكم بالعز والمال يرجع
فليس لما تبني يد الله هادم * وليس لأمر الله إن جاء مدفع
فقد تم وعد الله في نصر دينه * ولم يبق إلا شكره والتضرع

ثم بعد هذه القصيدة أنشأت قصيدة أخرى أرسلت بها إلى أخويّ دادي وزيد حين لم يهاجرا معنا وبقيا في الكفار أحذرهما ذلك وأخبرهما بما نلنا تحريضا لهما على الهجرة فقلت:

ألا من مبلغ عني لدادي * وزيد وكل ثاو في بلاد
ولاة الكفر خوف فوات مال * وطمع سلامة من ذي فساد
بأن لم يبق بين المسلمين * وبينكم علامات الوداد
خذلتم جمع إسلام جهارا * رضى منكم موالاة الأعاد
نسيتم ما قرأتم في الكتاب * لذا أخطأتم سبل الرشاد
ألما يكفكم "إن يثقفوكم" * و"لا يألونكم" في ذا المراد
كذلك "لا تجد" "لا يتخذ" "لا" * إلى "براء" منكم "يا عبادي"
"لواسعة" و"لو كانوا" وبدا * براءة فافهموا صوب السداد
وليس لنا كلام في خليط * لهم ود كبيد وذاك باد
ولا تسئل عن أصحاب الضلال * كصاحب ناقة أصل الفساد
تولى كبره بغضا لدين * فكان قدارهم وهم كعاد
وأنا في بلاد ليس فيها * سوى حكم الإله على العباد
أمير المؤمنين لنا أمير * وصرنا كلنا أهل الجهاد
نجاهد في سبيل الله دوما * فنقتل أهل كفر والعناد
سلوا عنا مصادمنا بغنغ * متنكركن أيام الجلاد
سلوا شيطان غوبر وهو ينف * وهل لم ينف من بين البواد

وقد جمع الجموع لقطع دين * ونادى في المدائن كل ناد

وقوفهم سوابغ من دروع * وخيتهم العتاق من الجياد

فساروا يقتلون ويأسرون * ذوي الإسلام رومًا للفساد

فلاقيناهم يوم الخميس * بغردم قبل ظهر في نجاد

وقد ركزوا لحوما حول نار * وحازوا في الخيام على العتاد

ثيابا من شفوف في صوان * وأنواع البساط مع الوساد

ولا تسئل عن الكعك الخليط * بسمن مع عسول في المزاد

نياما في النعيم فلم يرعهم * سوى همس الرجالة والجياد

فقاموا واستعدوا كل شيء * لحرب ثم صفوا في قداد

فسار لواؤنا يدنو إليهم * وعاد لهم كغول في البجاد

فرامينا هم فروا نفوطا * فصارت نارها مثل الرماد

كأن سهامهم لا نصل فيها * وأسيفهم بأيد للجماد

كأن رماحهم بيدي عمي * فولوا هاربين بغير زاد

تشتت جمعهم وهم عطاش * حيارى مثل غوغاء الجراد

قتلناهم وحزنا كل مال * لهم تركوه منشور بواد

قتلنا كابغل وكذا نمدغى * كذا ورُ ألقيا ما في المباد

كذا أمثالهم تترى وكل * شياطين وأشقاهم مغاد

ففر بلا التفات ينف يعدو * أمام خيوله تعدو بداد

فأنقذه من الموت المتاح * تعلقه على عرف الجواد

سواد الليل صار له حصونا * فبات ولم يذق طعم الرقاد

فوارسه عرائس في مروط * عضضن على نحيول كالقراد

غياض نحوى ظنوها قصورا * فما بالوا بشوك أو قتاد

فلم يرجع لهم ثوب صحيح * وكل قد تمزق في الوهاد

فليســـوا راجعـــين إلى قتـــال * لنـــا فيهـــا إلى يـــوم المعـــاد
ألا أبلـــغ أبـــا الحســـن بـــن أحمـــد * مغلغلـــة تـــبين بـــالمراد
بأنـــا ســـوف نجمـــع للجهـــاد * جموعـــا مـــن كـــوار إلى وطـــاد
تحـــل ببركهـــا غـــازك ويغشـــى * جناحاهـــا رطيـــف إلى غـــلاد
تفـــرّح كـــل ذي قلـــب ســـليم * وتحـــزن كـــل كفـــار الفـــؤاد
فـــإن الله ينصـــر ناصـــريه * بوعـــد جـــاء مـــن رب العبـــاد
فوعـــد الله تم بنصـــر ديـــن * ولـــيس لنـــا ســـوى شـــكر الأيـــاد

ولما طرد الله سلطان غوبر وجيوشه صرنا نحن نغزوهم ولا يغزونا. فغاظ ذلك جميع الملوك في حوس ،وذلوا بذلك فجعلوا يفتنون المسلمين الذين فيهم وينحاز المسلمون بناحية ثم يقاتلونهم ففتح الله لنا بلاد أمير "كب" فانتقلنا إليها بعد نحو شهر من طرد "ينف". ثم رجعنا بعد شهرين إلى بلاد غوبر ففتحنا بلادا فيها سيأتي ذكرها إن شاء الله في قصيدة جيش الفتوح.

ثم جهز أمير المؤمنين جيشا وأمرني عليه إلى حصن أمير غوبر "ألقاضاوا"، فوصلنا إليه فقاتلناهم أشد القتال من كل جهات الحصن ثلاث مرات لم يقدر الله لنا فتحه حينئذ فرجعنا إلى الشيخ حين سمعنا أن التوارق يغيرون على عيالنا وكنت قد أصيبت رجلي بسهم في وقت القتال الأول فسهل الله لي أمر ذلك.

ولما وصلنا إلى الشيخ قام مع جميع الجماعات والعيال حتى وصلنا إلى محل يقال له "تُنْتُوَ" فاجتمع جيوش غوبر مع توارقهم فأوقعوها علينا بغتة لم نسمعهم إلا وهم قد وصلوا إلينا في العيال. فتلقاهم الجماعة فحصل الهزيـــمة لهم واستشهد مالا يحصى منها من خيارها منهم صاحب اللواء يومئذ أخونا محمد سعد بن الحسن المشهور بلقبه سعدار، والإمام محمد ثنب بن عبد الرحمن، وزيد بن محمد سعد وغيرهم.

وكنت يومئذ لا أقدر على القيام لما أصابني في الرجل من السهم فلما وصلت الهزيمة إلينا قمت أعرج فتلقيت الفُرّار وخالفتهم فتبعني بعضهم حتى لقينا أوائل العدو يقتلون ويسلبون. فصففت مع من معي ورميناهم رمية واحدة فانقلبوا إلى معظمهم فلم يقم أحد فطردهم الله بقدرته فاتبعناهم فوصل الهزيمة إلى الشيخ، فركب واتبعنا، وجاء وقد طرد الله العدو ثم بعد ذلك انتقلنا حتى وصلنا إلى قريب من حصن "ألقاضاوي" فحصرناهم نحو شهر ثم انتقلنا لما اشتد الجوع بالجماعة إلى بلاد "زنفرا" وقد فتحها الله لنا من غير قتال. فوصلنا إليها عند تمام سنة من هجرتنا في شهر ذي القعدة.

ولما صلينا العيد للأضحى تهيأت لتشييع أمير "كب" الذي أسلم هو ومن معه واتبع جماعتنا إلى أن رجعنا معه إلى ذلك المحل الذي نزلنا فيه وهو "سَابُن غَرِي" لأرجعه إلى محله ونجاهد بلاد سلطان "كب" الذي أبى الإتباع فهيأت جيشا لذلك وهو جيش الفتوح فسرنا مع من اتبعنا فتلقانا أهل بلاد سلطان "قُم" بالقتال من حصن لهم يقال له "كند" إلى آخر بلده ولم نترك حصنا له لم نفتحه فطلب سلطان "قم" الأمان منا فأعطيته الأمان في حصنه فقط على أني إذا رجعت من الغزو سرت معه إلى أمير المؤمنين. فكان الأمر كذلك. وفتح الله لنا بضعا وعشرين حصنا فيها حصن سلطان "كب" سيأتي عدها في النظم. فرجعنا سالمين غانمين بحمد الله، فقلت قبل رجوعنا للغزو:

تذكرت والذكرى تثير لذي النوى * هموما وفي الذكرى تهب صبا الهوى
أخلاء ماتوا في الجهاد وغيره * وبعدى عن شيخي فأرقني الجوا
فمن مبلغ عني بني وإخوتي * وأهلي وجيراني ومن معهم ثوا
بأني ودندا مع علىّ وجمعنا * وأفراسنا في الفتح والعز والروا
فتحنا حصونا بين كند وكُندطَا * تزيد على عشرين بالقهر والقوا
وسالمنا رغما سواها فأسلمت * بظاهرها والله يعلم ما انطوا
ثلاثة كند ليم ماسو وكلكلوا * وزيم فلم حصنين دنكا الذي خوا
وبانذا وحصنى غمبنا روم غافروا * وحصنى مغاذن كاط مَاطَاطِ في المروا

وزَوْرُ، غقـى، رنـدال ثم عظيمهـا * ولـيلاب منـه فـر كنـدط فـانزوا
وفي اثنين مـع عشـر لمحـرم فتحنـا * عظيم الحصون حصن فُودِ الـذي غـوا
قـدار كبـاوا ثم فـر ظهـيرة * بفرسانه ذات الشـمال علـى الصـوا
فغـادر في ذا الحصـن مـالا كأنـه * لقـارون لم يأخـذ بـزاد إلى القـوا
ولولا شـحاك الشـرع ثم سلاسـل * المروّات لاسـتغنا الـذي كلنـا نـوا
سما جيشـنا جـيش الفتـوح فكلنـا * حوى من فتوحات الغنـائم مـا حـوا
ولـيس لنـا أمـر يسـيء قلوبنـا * من الدين والدنيا سوى وحشـة النـوا
وفقـد أحبـاء كـرام تتـابعوا * لجنـات عـدن في قـرار وتثنـوا
متى مـا تـذكرت الإمـام وحزبـه * تـموج في قلـبي بحـور مـن الـدوا
فإن سرّ غوبر والتوارق ذاك والـ * ـقتال سجال لـيس مرجعنـا سـوا
فمـن قـتلاهم في جهـنم دائمـا * ومن بالجنان الخلد ليسوا على اسـتوى
ومع ذا فكم يـوم بِكُـنّ متَنْكـري * وغـردم وطـن غيـذا ويـام لتـاغوا
وريم جميعـا ثم بُمبُـرْم بعـده * وبوري به ذاقُـوا ضـروبا مـن التـوا
فسـار لألقاضـاوا جـيش جموعنـا * فطافوا بـه والحـرب نزاعـة الشـوا
فلسـت تـرى إلا مغيظـا ومحنقـا * كوى غبره عن نزع سـهم أو اكتـوا
فـوالله لـو لا خنـدق وممـرد * عميق طويـل اسـتحالوا هبـا الكـوا
رحلنـا إلـيهم بالعيـال ومالنـا * حصـرناهم شـهرا بيـابهم الحـوا
ولم يبق بيـت بـين ريم وحصـنهم * وما زم وما زوزي لـذلك مـا خـوا
فخلّـوا لنـا أقـواتهم وبلادهـم * ونحـن حـواء بـين زرو وطـان روا
ويـوم أتونـا للقتـال فـأدبروا * نقتلهم مـن تـل مـا سـولد نبـوا
وكم مـرة جـاءوا بياتـا فأفشـعوا * وما فيهم من صـوب صـاحبه ضـوا
وأخرى أتوني فيـه خـامس خمسـة * فولوا وما نـالوا الـذي جمعهـم نـوا
وطورا أتـوا جمعـا وحينـا توزّعـوا * بشرق وغرب ثم خـاب الـذي غـوا
ومـا سـاعة إلا يصـخ سماعنـا * صراخ فنلقـاهم سـراعا بـلا التـوا

على كل جرداء وأجرد شيظم * تراه كصفراء الجراد إذا استوا
قد اعتاد غارات الصباح تخاله * إذا ما جرى فوق الربا طار في الهوا
فلما رأونا لا نمل جهادنا * لقتل وأسر جلهم خاف فارعوا
ففروا إلى البلدان شتى وجمعهم * بجمع أناس كان في سبإ بوى
فلله حمد أولا ثم آخرا * فقد تم نظمي وهو حال لمن روا

وقولي: "أخلاء" مفعول تذكرت، والجوى: الحزن، والروى: كالي الماء الكثير المروي، وفي نسخة مع شبع روا، فهو حينئذ خبر أن جمع ريان، وهو في الأصل ممدود. وخوى: بمعنى خلا. وقولي: "في الموافي اكتفاء"، أعني في الموامي وهي المفاوز. و"انزوا" انضم. و"الصوا" ما غلظ وارتفع من الأرض. و"القوا" بكسر القاف والمد، قفر الأرض وقصره للوزن. و"الدوا" بالقصر المرض، وأما بالمد فهو ما دووي به، و"التوا": الهلاك، و"كوى غيره" حرق جلده بالنار بحديدة أو غيرها، و"اكتوى" طلب ذلك، و"الكوى": خرق بالحائط صغير، و"الحواء" "ككتاب" جماعة البيوت المتدانية قصره للوزن، و"ما خوى": ما انهدم. و"ضوى ضويا وضيا": انضم ولجأ، و"بلا التوا": بلا تثاقل، و"ارعوا" أي رجع عما كان عليه، و"بوى": كرمى حاكى غيره في فعله والله أعلم.

ولما رجعنا إلى سابن غري آخر المحرم مكثنا هناك ستة أشهر نغزوا ونفتح البلاد ثم انتقلنا إلى موضع في "كب" يسمى "قَنْدُ" بقاف مفتوحة فنون ساكنة فدال مضمومة آخره في أوائل شعبان في السنة الثانية من هجرتنا فجعلنا نغزو الأعداء إلى أن وقعت وقعة "أَلْوَسَ" بفتح الهمزة وسكون اللام وفتح الواو بعدها سين، اسم موضع في "كب" فاستشهد فيه مالا نعلم عدده من جماعتنا حتى وصل الأعداء إلى حصننا "قَنْدَ" فطردهم الله بعد ما انتقض علينا غالب أهل "كب" الحوسيين. فقلت في ذلك:

إلهي لقلب شابه الهم والأسا * بليل التمام والصباح إلى المسا
لفقد أخلاء مضوا في جهادهم * بشثوا بعض في قرارى وألوسا
هم عدتي في نصر دين محمد * فمن كان فيهم في الجهاد تنفسا
وكلهم قار فقيه وتابع * أولي العلم قاري الضيف في الحرب احمسا
وناصر دين الله لازم مسجد * ومجلس وعظ لا يفارق مجلسا
لمظهر دين الله عثمان كلهم * بالأقوال والأفعال منه قد ائتسا
وخلفت في خلف أضاعوا صلاتهم * وطاعوا على نيل اللذيذات الأنفسا
وغالبهم شار بدنياه دينه * بإيثار ما يهواه والقلب خلبسا
جرئ على أكل الحرام وأكله * كما تأكل الأنعام يأكل بولسا
ولا يسمع المأمور يعصي إمامه * فمن قام ينهاه عن السوء اخفسا
وإن كان ذا جاه يمهد عذره * وأول ما قد قيل فيه ودلسا
وليلة نحس بت في كُولْدِ حائرا * بأخلاط غوغاء الرعاع مدنسا
فتاركهم لا بدّ أن يتفرد * وداخلهم لا بد أن يتنجسا
فقلت، وفينا بنت بيس بظلمهم، * لصبح: "عست هذى الصبيحة أبؤسا"
فسرنا وذاك الجمع يأتي وراءنا * فلما رأى جمع التوارق اركسا
فخلفت في الأخرى أنادي ألا ارجعوا * كأني أنادي أو أكلم أخرسا
وقد كنت أرجو كرهم لمقامنا * فخاب رجاءي في لعل وفي عسا
سوى بعض أحبابي وولدي وإخوتي * حموني وبعض حين فندس قندسا
ومنا رجال لم يزالوا بصفنا * وهم صدقوا ما عاهدوا الله في المسا
قضوا نحبهم فيه كغان وحمدا * فنالوا جنانا والحسان وسندسا
ومنا رجال الله ينتظرونه * وكل إذا ما صيح للحرب يلهسا
وما بدلوا قولا وفعلا كمن عدا * وصار إذا ما صيح في البيت دنكسا
وقد لقي الأعداء منا بألوسا * سهاما تقد الترس لم تك خنسا

فأقصد سهمي سيد بَسرحَ وطرفه * فـــولّى إلى أصـــحابه متألّســـا
فلسنا نخاف الحرب من قتل بعضنا * وذاك المنى مـــن نـــال ذلـــك قرطســا
فمنذ بدت منـــا حـــروب توالـــدت * فما زال فينا من علـــى الحـــرب خرســا
وتكـــثير قتلانـــا إذا ســـر غيرنـــا * فنحن نـــرى تلـــك الشـــهادة ملبســا
ومع ذا فكم يـــوم بكـــن متنكـــري * وغردم وطان غَىدا وجوه العـــدو ســـا
وبُمبرم مـــا زوزي لمـــا زم وريمهـــم * كنوم ودُوثِـــنْ دل ســـل مـــن تحدســـا
وما نيل في جـــيش الفتـــوح ونحـــوه * دليـــل لكـــون النصـــر فينـــا مؤسســـا
ويـــوم أتونـــا واشـــرأبوا لحصـــننا * فولـــوا وجـــل بالســـهام تخفســـا
فقتل فـــيهم نحـــو خمســـين طاغيـــا * وزادت لـــه النســـوان رجمـــا وشمســـا
فشـــتتهم رب الســـماء وبعضـــهم * إلى الليل لا يـــدري إلى أيـــن طسّســـا
فخافوا لما لاقوا وبالســـلم أرســـلوا * وذو شـــدة مـــن قبـــل منـــهم تأيســـا
ولا تأمنوا إســـلام أو ســـلم كـــافر * بشـــرق ولا غـــرب وحســـبكم مســـا
كلـــوا ســـلمهم لله ثم بـــه ثقـــوا * فمـــا خـــاف مـــن رب البريـــة أنســـا

وقولي: "أحمس" هو الشجاع، و"شار": أي بائع، و"خلبس": أي فتن قلبه، و"البولس": إسم شجر في النار، و"أخفس": تكلم بكلام قبيح، و"الغوغاء": فراش الجراد، و"الرعاع" كسحاب الأحداث، و"بنت بيس": كناية عن الداهية، و"أبؤسا" جمع بوس كالمثل السائر: وعسى الغُوَير أبؤسا، و"اركس" رد على عقبه، و"فندس قندس" الأول بالفاء فرق، الثاني بالقاف: أي رجع عن معصية، وهي الفرار من الزحف، و"بلهس": أسرع، و"دنكس": اختفى لا يخرج إلى أصحابه، و"متألسا": متوجعا، و"قرطس" أصاب سهمه القرطاس والمعنى فاز بالمقصود، و"خرّس": أي صنع للحرب التي ولدت طعام النفساء، و"ملبسا": نعمة، و"تحدس": أي سال عن أخبار هذه المواضع حتى علمها، و"تخفس": انجدل

وسقط، و"شمس": جعل في الشمس، و"طمس": ذهب، و"تأيس": أي لان وانقاد والله أعلم.

ثم لما طرد الله الأعداء عنا جعلنا نغزو ونغير على من انتقض علينا إلى أن تهيأنا في السنة الرابعة من هجرتنا للغزو إلى "ألقاضاوا". وخرجنا أواخر رجب فاستهل شعبان ونحن في الطريق وكنت قد جاءني من الله وارد برفض الأوطان والإخوان والتوجه إلى خير خلق الله لطلب رضوان الله لما رأيت من تغير الزمان والإخوان وميلهم إلى الدنيا والتنافس في ملكها وأموالها وجاهها مع تركهم عمارة المساجد والمدارس وغير ذلك. وقد علمت أني شرهم وأن ما رأيت من غيري لا يعدوني، فرأيت أن الفرار قد وجب عليّ فتركت الجيش واشتغلت بنفسي واستقبلت إلى الشرق نحو المصطفى صلى الله عليه وسلم إن يسر الله ذلك فدخلت في المفازة مع خمسة من أصحابي فبتنا ثلاث ليال لا نرى أحدا ولا أثرا لأحد إلا آثار الفيلة الكثيرة في تلك المفازة حتى يسر الله لنا الوصول إلى العمران.

فجرى في قلبي قصيدة بائية لم أخرجها لأحد حتى وصلنا إلى بلد "كنو" فمنعوني من التجاوز وطلبوا مني أن أعلمهم كيف يفعلون في إقامة الدين إذ وجدتهم قد دفع الله الكفار عنهم ولكن مرج أمرهم بينهم لما اشتغلوا بالدنيا فرأيت فيهم ما هربت منه من وطني فقلت لهم: "هذا الذي رأيت فيكم هو الذي فررت منه حتى قلت قصيدة لذلك في قلبي لم أخرجها لأحد". فألحّوا علي في إخراج القصيدة، فكتبتها لهم ثم ألّفت لهم كتابي ضياء الحكام وقرأت عليهم جميع تفسير القرآن فتابوا جميعا وصلح أمرهم، وكسروا آلات اللهو التي وجدت عندهم، وجعلوا عيدان طبولهم معلفا لخيلهم. وفتح الله عليهم ما لم يفتح عليهم قبل ذلك. ولله الحمد. والقصيدة هي:

ولما مضى صحبي وضاعت مآربي * وخلفت في الأخلاف أهل الأكاذب
يقولون مالا يفعلون وتابعوا * هواهم وطاعوا الشح في كل واجب
وليس لهم علم ولا يسئلونه * وأعجب كل رأيه في المذاهب
وقطّع أرحاما وأزرى معارفا * وآثر عن قرباه جمع الأشائب
وما همهم أمر المساجد بل ولا * مدارس علم بله أمر المكاتب
وهمتهم ملك البلاد وأهلها * لتحصيل لذات ونيل المراتب
بعادات كفار وأسماء ملكهم * وتولية الجهال أعلى المناصب
وجمع السراري والثياب الحسان والـ * ـجياد الجواري في القرى لا المحارب
وأكل هدايا الجاه والفيء والرشى * وعود ومزمار وضرب الدبادب
وأعجز أهل الحل والعقد أمرهم * وجانبت الأعراب من كل جانب
فرارا من القاضي وأكل الأمان والـ * ـموالاة للكفار خوف العواقب
فجموا وقل الصالحون فأظهروا * مداهنة الفساق أهل الكتائب
وباعة أحرار وفي السوق بعضهم * وُلاةُ قُضاة في لباس الثعالب
وأبدت جهارا نافقاع ضبابها * ولاحت ذياب في ثياب الأرانب
وأيقنت إن لم يرجعوا عن ضلالهم * لتختلفن أسيافهم في الغوارب
وإن قرين السوء يعدي قرينه * بما فيه اعداء الصحاح الأجارب
وقد طار قلبي للمدينة ثاويا * سنين بها شوقا وليس بآئب
وقيد جسمي عنه ذنبي حائرا * بصدر هواء فاقد القلب ذائب
صرفت عناني عنهم متوجها * إلى خير خلق الله معطي الرغائب
فصبرت نفسي في ركوب مفاوز * خلال فيول كالهضاب قوارب
ولا أثر في الأرض إلا الذي لها * ربيعا وصيفا كالبئار السواقب
أسير بلا علم ولا قود قائد * ونيل سبيل في الفيافي العواشب
بخمسة أحرار كذاك الرقيق مع * ثلاثة أفراس كمثل الركائب

نشيم عطاشا حين حان نزولنا * ذوائب أشجار المياه الشوارب
وكم ليلة بتنا بها نابغية * ولا نار إلا نارنا في السباب
وسمارنا جيراننا أقرباؤنا * بعوض وحيات وجمع العقارب
خمائلها والقاع أثمارها الأضا * جدار ودار والقرى كأس شارب
أوانسنا أقواسنا وجعابنا * رماح وأسياف رقاق المضارب
وصار لنا الآثار للناس بعد ما * قربنا لعمران عجيب العجائب
وأولى كلام الناس أحرى ديارهم * وأنفسهم صارت غريب الغرائب
فقلت: "وذا أمر يسير بجنب ما * نريد إذا ما حُم نيل المئارب
أحاد المطايا حثها للمشارق * ولا تلتفت في سيرنا للمغارب
فإن حظيت بالوصل فالله واهب * وإن أخفقت فالذنب فيه لذاهب"
فما خاب من أم الكريم لحاجة * وإن كان بطالا خبيث المكاسب
فيا خير من حف العفاة ببابه * يصوب عليهم منه عشر سحائب
أممتك مأسورا لذنبي راسفا * لألحق قلبا عندكم غير غائب
فحقق رجاءي فيك يا سيد الورى * فراجيك في الدارين ليس بخائب
وفك قيودي ثم صلني إليك يا * كريم السجايا أنت بحر المواهب
فها أنا عبد الله إسما وحرفه * لديكم فسهل لي نجاح المئارب
كما نالها منكم سواد وسائل * بما ساله منكم سواد بن قارب
عليكم صلاة الله ثم سلامه * بأصحابكم والآل يا كهف هارب

وأقول في تفسير هذه القصيدة ما تقدم في الجيمية واعلم أني قد نظمت قبل هذه القصيدة قصيدة ميمية في وقعة "فافر" واد "بزُوم" شكرا لله على نصر أهله وهي:

أمـــن طلـــل خـــلا أم فقـــد قـــوم * ألفتـــهم تبيـــت بغـــير نـــوم

فكـــم خـــل فقـــدت رضـــى تقـــى * شـــجاع قـــارء ســـراد صـــوم

وكـــم طلـــل علمـــت بـــربم خـــال * وشُحغَل كـــوكُنّ وغَلـــم غلـــمِ

فتلـــك ديـــار غـــوبر والتـــوارق * ولاة الكفـــر خاويـــة بظلـــم

وكـــم يـــوم بكُـــنّ لنـــا علـــيهم * وطن غـــدا وقـــردم أي يـــوم

بأيـــدينا هـــلاك جميـــع غـــوبر * هـــلاك تـــوارق برمـــاح زرم

غـــداة يقـــودهم للحـــين جهـــلا * طبيلـــهم أغنبـــل دون علـــم

يـــوازره زنـــافرة وقـــوبر * وأهل كيـــاو مـــع غوغـــاء بـــرم

فـــأوردهم بفـــافر حـــوض مـــوت * ففـــر لأهلـــه بلبـــاس لـــوم

وســـابق خامـــد شـــيطان آدر * وزدي قـــدارهم أصـــحاب لـــؤم

ففـــروا عـــن جماعتـــهم وجـــازوا * مسيرة خمســـة في نصـــف يـــوم

فمـــا بـــالوا بثابـــال وخيـــل * وأعبـــدهم وأثـــوبهم وطعـــم

وأحـــرار ثـــووا في زرم نحـــو * ثـــلاث مـــئين تـــوذهم بحـــزم

فتاب جميعهم عـــن جمـــع جـــيش * لـــزرم وصـــوّبوا طـــلاب ســـلم

فنعم الجمع جمع ثمـــود يـــوم الـــــ * تقـــى الجمعـــان في أرجـــاء زرم

شـــفاء صـــدور كـــل المـــؤمنين * وغيظ صـــدور كفـــران وجـــرم

ألا مـــن مبلـــغ عـــني لآدر * إذا بقيت بهـــا أصـــحاب حـــزم

بـــدار تـــداركو بطـــراد خامـــد * قـــراكم قبـــل تشـــتيت وهـــدم

فخامـــد خامـــد لا تتركـــوه * فيوقـــد نـــاره فـــيكم بـــإثم

وكـــل محـــارب لا تتركـــوه * بهـــا ليـــدوم فـــيكم نيـــل ســـلم

فللـــه المعـــز وللرســـول * وجمـــع المســـلمين فـــتم نظـــم

ولما رجعني الله الحكيم من "كنو" بقهره وحكمته جعلنا نغزو على من انتقض علينا وغيرهم حتى فتح الله لنا حصن "ألقاضاوا" وأهلك سلطان قوبر ينف بأيدي جماعتنا بحمد الله تعالى وكفانا شر جميع "قوبر" ثم جهز أمير المؤمنين عثمان جيشا إلى أرض "قُرْمَ" وراء البحر بلاد بني كرباس وأمّرني على الجيش. فسرنا بحمد الله حتى وصلنا إلى حصن "دب" بدال وباء ممالتين ففتحه الله لنا وأخذنا جميع من فيه فمننت عليهم جميعا وأخرجتهم من الحصن وأرسلت بهم إلى بلاد الإسلام وهدمت الحصن فمضينا فسمع ذلك كفار "تُنْدِ" فتفرقوا من حصنهم، ففتحه الله لنا، وكان من أشد الحصون علينا. فمضينا حتى وصلنا إلى البحر فوجدناه قد جاء بـــمائه لا يتوصل إلى عبره الغربي إلا بعوم كثير وكان عرضه مقدار ميل أو أكثر، وفيه من دواب الماء ما يهلك الداخل سريعا، فخافته الجماعة ونزلنا عليه محزونين لذلك فدعونا الله تعالى.

وبعد ذلك أرسلت إلى البحر رجلا جرئ القلب محسنا للعوم فقلت له:"ادخل البحر لعل الله أن يعطينا محلا نتجاوز منه سهلا". فسار إلى محل ليس من فراض البحر ولا يدخل الناس منه فدخل الماء وسار حتى وصل العدوة الغربية و لم يتجاوز الماء صدره فرجع وأخبرني فحمدت الله على ذلك وأخبرت الجماعة ففرحوا فبتنا عليه.

ولما صلينا الصبح قمت إلى البحر على بعير لي وجعلت ذلك الرجل أمامي وتوكلت على الله فاتبعني الجماعة ودخلت البحر فدخلوا كلهم يكبرون رجالتهم وفرسانهم على الخيل وبعضهم مع الحمير و لم ينـــزلوا الأثقال حتى خرج جميع الجيش سالمين في جزيرة "فاس" والكفار لا يطمعون أحدا يتجاوز هذا البحر إليهم في ذلك الوقت فوجدناهم في غَرة فأغرنا عليهم وقتلنا وسبينا وأتلفنا جميع زروعهم ثم جاء أهل الحصون الذين تـــحصنوا فيها فأسلموا بحق فتركتهم وأقررتهم بمحلهم. ثم رجعنا سالمين غانمين، وخضنا البحر في ذلك المحل ثم سرنا إلى أرض "جرم" لنتواصل مع جموعنا الذين هناك فاجتمعنا معهم ثم رجعنا إلى الوطن. فقلت في ذلك قصيدة وهي:

حمـــدا وشـــكرا طيـــب الأنفـــاس * لله ذي الآلاء رب النـــــــاس
يعطي ويـــمنع من يشـــاء بفضـــله * وبعدلـــه لا يهتـــدي بقيـــاس
فيعـــــز مـــــن والاه في آلائـــه * ويذل مـــن عـــاداه بالأرجـــاس
ومن الـــدليل عليـــه فـــتح جاءنـــا * في أرض "قرم" قرى بَني كربـــاس
نصـــرا لنـــا برماحنـــا وســـهامنا * وســـيوفنا ببطـــونهم والـــرأس
أولادهـــم ونســـاؤهم مســـبية * ورجـــالهم مقتولـــة بالفـــأس
بعـــد انتشـــار فراشـــنا بـــزروعهم * وتطـــاير الفرســـان بـــالأتراس
حتى أغـــاروا أرضـــهم وتراجعـــوا * بســـلامة الأبـــدان والأفـــراس
قد حرقوا بعـــض الـــديار وشـــتتوا * جمع الكفـــور جماعـــة الخنـــاس
من بعد هدم وحرق "دب" وطردهم * فارتاع "تند" وهل لهـــم مـــن آس
قولوا لهم: "توبـــوا فـــلا ينجـــيكم * هـــرب لبَـــرغُ ولا إلى كبـــاس"
تروى وكُنْب رأوا تـــوًى فتعـــوذوا * بالله والإســـلام خـــوف البـــأس
فنجوا وقد أخذ الهـــلاك حلـــوقهم * بغيوث عفو جـــاء بعـــد اليـــأس
ظنوا بأن البحـــر يـــمنع جمعنـــا * فيـــه يغـــرهم أخـــو الوســـواس
رأوا الجمـــوع يـــمينهم وشمـــالهم * شرقا وغربـــا وهـــي جمـــع راس
فيهم دعاء الشيخ يحـــدث في الفـــلا * سبلا فجاجـــا عـــالي الأجـــراس
يا ســـائلا أخبارنـــا عـــن بحـــرهم * خذ فصها واكتب على القرطـــاس
لمـــا أتينـــا البحـــر طـــاع تفلقـــا * بعصى المعونـــة طـــائع الأجنـــاس
ظلـــت عـــوادي مائـــه منكوســـة * مســـكورة الأنيـــاب والأضـــراس
نزلا لنـــا كالوحشـــر ذان ومـــاؤه * سلوى ومنّ وهو صاف الكـــأس
حـــتى رجعنـــا ثم خضـــنا ثانيـــا * وورودنـــا وصـــدورنا في فـــأس
صدق الرسول رأى جمـــوع غزاتـــه * في البحر كالأملاك فوق كـــراس
سرنا لـــجرم تواصـــلا لجموعنـــا * والبعض منهم جاء مـــن كرتـــاس

ثم انصـــرفنا ســـالمين ونرتجـــي * أجرا يزول بـــه أســـى الإفـــلاس
مـــا مســـنا ســـهم ولا رمـــح ولا * سيف كمن آبوا مـــن الأعـــراس
لله حمـــد والصـــلاة علـــى العـــلا * خـــير الـــورى والآل والأكيـــاس

وقولي: "لا يهتدي بقياس" أي كل من عطاء الله ومنعه لا يعلم له سبب جل حكم الأزل عن الإضافة إلى العلل، و"الأرجاس": جمع رجس وهو العذاب، وكرباس: إسم ملك وراء البحر وهو من أولاد أسكيا أمير سُنغي العدل إلا أنـــهم غيروا بعده وكفروا، و"آس": أي طبيب يداويهم من جراحنا والإستفهام للإنكار، و"برغ" و"كباس": كل واحد اسم بلد من البلاد و"جمع راس" أي ثابت لا يفر، و"الأجراس": الأصوات وقت نزولهم، و"الأجناس": أي أجناس دواب البحر، و"فاس": إسم جزيرة في ذلك البحر، و"كرتاس": موضع على ذلك البحر، و"الأكياس": جمع كيس وهو الذي دان نفسه وعمل لما بعد الموت.

ثم بعد رجوعنا من هذا الجيش بنحو عام أراد الشيخ أمير المؤمنين الإنتقال من "قند" إلى "سيفاوا" فمال أكثر الناس إلى تلك الجهة جهة الشرق فخاف المسلمون الذين في الغرب الكفار حين سمعوا الإنتقال إذ يرون الناس جميعا ينتقلون إلى الشرق فجهز الشيخ أمير المؤمنين جيشا إلى جهة الغرب ليطمئن بلاد الغرب وأمرني عليهم فخرجت مع جيش قليل لأن الناس أكثرهم مالوا إلى محل الإنتقال لتحصيل الأبيات وإحياء الموات وكرهوا الجهاد في ذلك الوقت إلى تلك الجهة، فأرسلت إلى أهل "جرم" فاجتمعوا ينتظرونني. فلما قربت جموعهم صاروا مقدمة جيشي وساروا إلى بلاد "سَنْبَلْغُ" من بلاد "قرم" وراء البحر وفتحوها فالتقيت معهم قريبا من البحر فنـــزلت على البحر وبت هناك خمسة أيام يتجاوز جيشنا البحر في السفن و لم أتجاوز أنا لعلة أصابتني وهي ركض الفرس على ساقي فصرت لا أستطيع القيام في هذه الأيام وكتمت ذلك جماعتي حتى وصلوا إلى بلاد "جورور" من بلاد "قرم" من جهة الشمال وراء البحر وفتحوها وقتلوا وسبوا ورجعوا. فرجعنا إلى الوطن سالمين. فقلت في ذلك هذه القصيدة أذكر المواضع التي بتنا فيها من "قند" إلى البحر وهي:

سلا القوم عما عنه قلبك لم يسل * وعلمك ماهم جاهلون به جهل
ورأيك فيما لم يروه سفاهة * لديهم وإصلاح بما لم يروا دخل
وعقلك فيما خالفوه حماقة * بآرائهم وكل رأي له أصل
تغربت عنهم بعد ما قد تشرقوا * فربك يدري يوم يجتمع الشمل
وأكثرهم ليسوا كما قد عهدتهم * إذ الشاب شيخ الرأي طفلهم كهل
فأما الخيام فهي مثل خيامهم * وسكانها غير الذين بها قبل
فدع ذا فقد آن الرجوع إلى التقى * ومن ناهز الخمسين آن له عقل
بتحسين نيات الجهاد وغيره * يكون لوجه الله قولك والفعل
خرجنا لوجه الله نرجو ثوابه * وإعلاء إسلام لينتفع الكسل
ومن قصده مال أو إظهار نجدة * أو إشفاء غيظ لم يجاهد فذا الفصل
عدمنا خيولا لا نجاهد فوقها * لإعلاء دين الله من بينها الرجل
مبايتنا من قَنْدُ تار، فسابيل * غُلُبي، كبير الحصن، ذغر، دغ، تل
"فذُوغِرمَ" ثنتين "فيلو" يلي "ريا" * على ملحهم "فوغا" وموردنا صدل
فسانفنا بغغا يلي جاى بالهم * فيليد ثنتين فغوبرهم يتلو
فمنغ ففوق البحر عاشر حجة * "كوار" سغي والماء ضاق به الجبل
فبتنا به خمسا تجوز جيوشنا * على سفن في جنبها الخيل والإبل
ترى خيزرانات تعوم كأنها * مناسم والأمواج يرمي بها السيل
فخبر أمير المؤمنين بأنهم * بجانب "قرما" والجهاد لهم شغل
وكفارها قد ثل بالجيش عرشهم * فشتت "سنبلغو" وزلت به النعل
كذلك "جورووري" تشتت جمعها * وحل على أرجائها الأسر والقتل
بأيدي جموع قادة قادرية * سيوف أمير المؤمنين به تعل
تسير رياح النصر شهرا أمامهم * بجاه رسول الله عز به الكل
عليه صلاة الله ما عز دينه * وأرغم أنف الكفر وانسلخ الليل

ولما رجعنا من الغزو انتقلنا إلى "سِيفَاوَا". ثم بعد نحو عام جهز أمير المؤمنين جيشا وأعطى الراية محمدا فساروا مع جيش قليل فجاوزوا البحر في وقت الماء وقد وجدوا الكفار ينتظروهم على الفراض الغربية فعبروا إليهم وطردوهم وقتلوا من قتلوا فهربوا وتركوا حصونا عديدة وراء البحر واجتمعوا إلى عظيم حصنهم "إلوُ" فسار جيشنا فقاتلهم فيه ففتحه الله لهم فقتلوا وأسروا ورجعوا سالمين غانمين. فنظمت لذلك قصيدة عجمية وهي مشهورة.

ثم بعد رجوعهم بقليل جمع محمد بل بن أمير المؤمنين عثمان جيوشا إلى بلاد "قار" وأهلها كفار طغاة يغيرون على بلاد الإسلام ولم يفتح بلادهم ملك قط لأنها ذات حصون وقلاع وجبال وأودية. فسار محمد بل مع الجيوش حتى وصل إلى بلادهم، ففتح حصونهم بعون الله، فقتلوا وأسروا. أسر ملكهم وجيء به مغلولا بين الأسارى. والحمد لله على ذلك فنظمت لذلك قصيدة وهي هذه:

حمدا وشكرا لرب الواحد البارئ * على هلاك طغاة من بني "قار"

على يدي جموع من جماعتنا * مهاجرين وفيهم جمع أنصار

أمامهم دعوات القادري لنا * إمامنا رجمات جمع كفار

يخربون بلاد الكفر إن نزلوا * بدار كفر فساءت حال ذي الدار

يقودهم بل في خيل وفي رجل * بين الليوث كليث ثائر ضار

حتى أناخ على ساحات دارهم * فأصبحوا مثل عصف حط في النار

فأصبحوا لا ترى إلا حصونهم * وليس فيها جميعا صوت ديار

وأسر طاغوتهم قد زاد ذلهم * مقيدا بينهم في ملبس العار

يا أهل قار ألما يكفكم "كشنا" * والجار يسمع ما قد حل بالجار

كذا "كنو" مع "زقزق" وهي قربكم * و"زنفرا" مع "قوبر" نسل بابار

تلكم بيوتهم بالظلم خاوية * منهم وصاروا أحاديثا لسمار

بقدرة الواحد الجبار قاهرهم * فالحمد لله في جهر وأسرار

ثم بعد ذلك تتابعت الجيوش إلى بلاد "نفي" في أعوام متتابعات يفتحون الحصون الكثيرة في كل مرة يقتلون ويأسرون ويعطون بعض الكفار الأمان إذا سألوا ثم ينتقضون. هكذا عادة الكفار ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون. وقد عملت في فتوح "نفي" قصيدة عجمية ولذا لم أكتبها. والحمد لله على ذلك.

ثم بعد ذلك لم نأتل نخرج الجيوش إلى الأعداء إلى الآن والحمد لله رب العالمين. وليكن هذا آخر ما قصدت جمعه. فقد تم يوم الأربعاء في شهر الله شوال الثمانية عشر خلت منه في السنة العاشرة من هجرتنا وهي سنة ثمانية وعشرين ومائتين وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام.

وليعلم الواقف على هذا المجموع أني لم أقتد أحدا فيما كتبت فيه ولا نظرت إلى كتاب أحد ولا حكيت فيه ما سمعت من أحد وإنـــما كتبت فيه ما حضرني في الوقت مما شهدته وعلمته مع أشغال غالبة وهموم ناصبة وروية ناضبة فما كان منه صوابا فمن الله وله الحمد، وما كان خطأ فمني وأستغفر الله منه. والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

[وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. تم بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم. اللهم اغفر لي ولولدي ولجميع الأمة بحرمة نبي الرحمة هادي الأمة، آمين].